

مجمع الأمثال

2878 - قَدَّ قِيلَ ذَلِكَ إِنَّ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا .

قَالُوا : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ النعمانُ بن المنذر اللّخمىُّ للربيع بن زياد العبسي وكان له صديقاً ونديماً وإن عامراً مُلّا عيب الأسدنة وعوف بن ابن الأصوص وسُهَيْل بن مالك وليد بن ربيعة وشَمَّاساً الفزاري وقلابة الأسدى قَدِمُوا على النعمان وخالّفُوا لبيداً يرمى إبلهم وكان أحدُهم سِنّاً وجعلوا يَغْدُونَ إلى النعمان ويرحون فأكرمَهُم وأحسَنَ نَزْلَهُم غيرَ أن الربيع كان أعظمَ عنده قَدَرًا فبينما هم ذاتَ يوم عند النعمان إذ رجز بهم الربيعُ وعابَهُم وذكرهم بأقبح ما قَدَرَ عليه فلما سمع القومُ ذلك انصرفوا إلى رحالهم وكل إنسانٍ [ص 103] منهم مُقْبِلٌ على بَيْتِهِ وَرَوَّحَ لبيد الشَّوَل فلما رأى أصحابه وما بهم من الكآبة سألهم : مالكم ؟ فكنتموه فقال لهم : وإني لا أحفظُ لكم مَتَاعاً ولا أسْرَحُ لكم إبلًا أو تُخْبِرُونِي بالذي كنتم فيه وإنما كنتموه عنه لأن أم لبيدٍ امرأة من عَدِيس وكانت يتيمة في حَجَرِ الرِّبْع فَقَالُوا : خَالُكَ قد غَلَا بَدَنًا على الملك وصدَّ بوجهه عنا فَقَالَ لبيد : هل فيكم مَنْ يكفيني وتُدْخِلُونِي على النعمان معكم ؟ فواللّاتِ والعُزَّى لأَدْعَنَّهُ لا ينظر إليه أبداً فخلفوا في إبلهم قلابة الأسدى وقالوا لبيد : أو عندك خير ؟ قَالَ : سترون قالوا : نَبِذْ لَوْك في هذه البَقْلَصَة لبَقْلَصَة بين أيديهم دَقِيقَة الأغصان قليلة الأوراق لاصقة بالأرض تدعى التَّرَبَّةُ صِفْهَا لَنَا واشْتُمْهَا فقال : هذه التربة التي لا تُذْكَى ناراً ولا تُؤْهِل داراً ولا تَسُرُّ جاراً عودها ضئيل وفرعها كَلِيل وخيرها قَلِيل شَرُّ البقول مَرَعى وأقصرها فَرَعَا فَتَعَسَا لها وجَدَعَا القَوَابِي أَخَا عَبْس أَرَدُهُ عنكم بتَعَسٍ وأدعه من أمره في لَيْسَ قَالُوا : نُصْبِحُ فنرى رَأَيْنَا فَقَالَ لهم عامر : انظر هذا الغلام فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء وإنما يتكلم بما جاء على لسانه ويَهْذِي بما يَهْجِس في خاطره وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرمَقُوهُ فأروه قد رَكِبَ رَحْلاً حتى أصبح فخرج القومُ وهو معهم حتى دخلوا على النعمان وهو يتغدَّى والربيعُ يأكل معه فَقَالَ لبيد : أبيت اللّعن أتأذن لي في الكلام ؟ فأذن له فأنشأ يقول :

يَارُبَّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَاهُ ... أَكُلُّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّرَ عَاهُ .
نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ ... وَنَحْنُ خَيْرٌ عَامر بن صَعْمَعَهُ .
الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةُ الْمُدْعَدَّةُ ... وَالصَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ

الْخَيْضَعَةَ ° .

يا واهبَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ سَعَةٍ ° ... إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَادًا مَسْبِيَعَةً ° .
نُخْبِرُ عَنْ هَذَا خَبِيرًا فَاسْمَعَهُ ° ... مَهْلًا أَبَيْتَ اللّٰعْنَ لَا تَأْكُلْ
مَعَهُ ° .

إِنَّ اسْتَهْ مِنْ بَرَصٍ مُّلَمَّ سَعَةٍ ° ... وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ ° .
يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ ° ... كَأَنَّهُ يُطْلُبُ شَيْئًا أُطْمَعَهُ ° .
ويروى " ضَيْعَهُ ° " فلما سمع النعمانُ الشعرَ أَفْصَفَ ورفع يَدَهُ من الطعام وقال
للربيع : أكذاك أنت ؟ قَالَ : لا واللاتِ لقد كَذَبَ ابْنُ الْفَاعِلَةِ قَالَ النعمان : لقد
خَبِثَ عَلَى طَعَامِي فغضب الربيع وقام وهو يقول : [ص 104] .

لئن رَحَلْتُ رِكَابِي إِنَّ لِي سَعَةً ° ... مَا مِثْلُهَا سَعَةٌ عَرَضًا وَلَا طَوْلًا ° .
وَلَوْ جَمَعْتُ بَنِي لَحْمٍ بِأَسْرِهِمْ ° ... مَا وَازَنُوا رِيْشَةً مِنْ رِيْشِ سَمُورِيْلَا ° .
فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ يَا نَعْمَانُ مُتَكِنًا ° ... مَعَ النَّطَاسِيِّ طَوْرًا ° وَابْنَ تَوْفِيْلَا ° .
وقال : لا أَبْرَحُ أَرْضَكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَفْتَشِنِي فتعلم أن الغلام كاذب فأجابه
النعمان : .

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا ° ... تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنكَ
الْأَبَاطِيْلَا ° .

فَقَدَّ رُمِيْتَ بِرِدَاءٍ لِسْتِ غَاسِلَةٍ ° ... مَا جَاوَزَ النَّيْلَ يَوْمًا أَهْلُ إِبِلِيْلَا ° .

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقَّ وَإِنْ كَذِبًا ° ... فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيْلَا ° .
قوله " بنو أم البنين الأربعة " هم خمسة : مالك بن جعفر مُلَاعِبُ الْأَسْنَةِ وَطُفَيْلُ بْنُ مَالِكِ
أَبُو عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَرَبِيعَةُ بْنُ مَالِكٍ وَعُبَيْدُ بْنُ مَالِكٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ مَالِكٍ وَهُمْ أَشْرَافُ بَنِي
عَامِرٍ فَجَعَلَهُمْ أَرْبَعَةً لِأَجْلِ الْقَافِيَةِ ° .

و " سمويل " أَحَدُ أَجْدَادِ الرَّبِّعِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ اسْمُ طَائِرٍ ° .

وَأَرَادَ بِالنَّطَاسِيِّ رُومِيَا يُقَالُ لَهُ سَرْحُونُ " وَابْنُ تَوْفَيْلٍ " رُومِيٌّ آخَرُ كَانَا يُنَادِمَانِ

النعمان